واصلت العدو بنيرانها الكثيفة والمؤثرة مما دفعه للانسحاب من مواقعه.
كان الليل قد بدأ يسدل ستاره على قواتنا وقوات العدو فقررنا الانسحاب والعودة إلى قوات المؤخرة في الضبعات لمراجعة خطتنا وإدخال سلاح المدرعات الثقيلة لأول مرة في خطتنا لاقتحام العوائق والألغام التي وضعها القبائل في الطريق، ولتجنب السير في طريق السيارات الذي كان العدو قد زرعه بالألغام بواسطة خبراء أردنيين وأصبح من المستحيل اجتيازه بسيارة نقل أو مدرعة خفيفة، لذلك فقد عدنا إلى مؤخرة قواتنا سالمين لم نفقد أحداً بسبب النصيحة التي وجهت لنا من الأخوين عبدالله زبارة أطال الله عمره والمرحوم محمد أحمد الدقم رحمه الله.
عسكرنا في الضبعات المسماة محل آل السراجي الذي كان أحد ابنائهم في مقدمة الحملة الأولى والثانية وهو الملازم محمد السراجي وأتخذنا لنا مواقع عسكرية فوق رؤوس الجبال المطلة على محل شوبان وقرية تنعم.
بعد تدارس الموقف قرر القائد هادي عيسى القيام بالمهمة بنفسه حيث افهمنا أنه سيذهب للقيادة لإقناعهم بمدنا بالمدرعات الثقيلة «الدبابات» وسيعود خلال يومين على الأكثر، وبعد موافقتنا ذهب قائد الحملة رحمه الله ولم يعد لا بدبابات ولا أي نوع من الدعم الذي طلبناه، فقررنا انتخاب قيادة جديدة من الملازم علي عبدالله السلال قائداً والملازم علي علاية نائباً للقائد والملازم المرحوم أحمد خليل رئيساً للعمليات والملازم محمد السراجي مسؤولاً عن تموين الحملة، وايفاد الملازم عبدالله قاسم زبارة برسالة للقائد الأعلى تطلب منه مدنا بالدبابات وبعض القوات الداعمة لأن فترة بقائنا في الضبعات كانت عبارة عن معارك مستمرة يومياً وغزو أو محاولات غزو على طريقة حرب العصابات، وإطلاق نيران على مواقعنا ومواقعهم بدون توقف خصوصاً في المساء وكان ذلك مجرد اختبار قوة طرف للطرف الآخر..

وفي هذا المقام أسجل اعترافاً بجميل أهل الضبعات الذين خدموا قواتنا وهيأوا لها كل المواد التموينية من الأكل والشرب وإرسال الرسل للتجسس على قوات العدو وإمكاناته كما كان العدو يفعل أثناء فترة عسكرتنا في الضبعات فلهم شكرنا واعترافنا بجميلهم وما قدموه لنا.
ورغم الضغط النفسي وتأثير البرد الشديد على قواتنا وامتداد فترة الانتظار للمدد، كانت قواتنا تتحلى بالروح المعنوية العالية والتطلع لساعة الإذن بالاشتباك مع العدو وإلحاق الهزيمة به والانتقام لجرحانا وشهدائنا في سريتي يافع وأبين.
أخيراً جاء الفرج بوصول الملازم عبدالله حسين زبارة ومعه المدد دبابتان ومجموعة من أفراد الحرس الوطني من أبناء ردفان وحالمين والضالع ولحج يكونان كتيبة متراصة لم تكن قد تلقت التدريب الكافي لكنهم كانوا ينشدون الأناشيد الوطنية ويهتفون بحياة الثورة وقائدها، والزعيم جمال عبدالناصر ويتوعدون العدو بالانتقام.
أرسلت لنا القيادة رسالة تواسينا في الشهداء من سريتي أبين ويافع وتطلب منا سرعة نقل الجرحى وإسعافهم إلى المستشفيات أو الخارج «مصر» لعلاجهم كما افهمتنا أنها لم تعد تملك كثيراً من الدبابات والأسلحة الثقيلة وأن الدبابتين التي ارسلتهما مع مدرعتين ٦ × ٦ هما من حراسة القيادة والمشير عبدالله السلال طالبة «القيادة» حسم الموقف العسكري وسرعة التحرك لدحر العدو وهزيمته.
ازددنا قوة ومنعة بانضمام سلاح ثقيل لقواتنا ومجموعة من الحرس الوطني من ابناء المحافظات الجنوبية ومن عرين الأسد الشهيد راجح بن لبوزة «ردفان» وأبناء الضالع الشجعان ويافع المغاوير ولحج الأبطال، وقررنا التحرك فجر اليوم الثاني لمفاجأة العدو أولاً وإصابته بالذهول والدهشة ثم الهزيمة عند استخدامنا لأول سلاحا ثقيلا في هذه المنطقة.
وشهادة للتاريخ أسأل عنها أن أبناء المحافظات الجنوبية ممن تبقى من سريتي يافع وسرية حالمين وردفان والضالع ولحج كانوا يجرون خلف الدبابة كالأسود الكاسرة غير مبالين بنيران العدو الكثيفة رغم أنهم كانوا مكشوفين، واشهد أن الرائد محمد أحمد الدقم، رحمه الله، كان مندفعاً كالأسد الجسور رغم حمله رتبة عالية واقترحنا عليه أن ينضم إلى القيادة في الدبابة الأولى خوفاً عليه من الإصابة، مع بطل جسور آخر هو الملازم محسن وهاس وبدأت المعركة غير المتكافئة فقد كان العدو يعتقد أن الدبابة مثلها مثل المصفحة يمكن اصابتها وتفجير إطاراتها والاستيلاء عليها، وتركنا العدو يصب نيران غضبه على الدبابتين اللتين أمطرتا بوابل غزير من الرصاص بينما كانت الدبابة الأولى قد بدأت بضرب قرية شوبان ومنازلها، وكانت أول إصابة قاتلة هي إسقاط بيت الشيخ محمد الغفاري المكون من أربعة طوابق وهو شيخ شوبان ثم التصويب من قبل الدبابة الثانية على بقية المنازل ..

ويستطرد بقوله :
كانت معركة طاحنة وشرسة وغير متكافئة ومفاجئة لم يكن أهالي قرية شوبان يتوقعونها، لذلك فقد أسرعوا بالفرار والنجاة بأنفسهم وترك القرية بنسائها وصبيانها وممتلكاتهم الكثيرة، وتركوها لدخول القوات الجمهورية التي تسابق أفراد قواتنا من الحرس الوطني والنظام والقبائل لاحتلالها بتطهيرها ونهبها.
كان منظر القتلى من سريتي يافع وأبين مؤثراً للغاية لمن ساهم في الصلاة عليهم ودفنهم بدمعة حارة، وكان الجرحى في حالة يرثى لها لولا أهالي قرية تنعم وما قدموه لهم من طعام وشراب حتى إن بعض الجرحى كانت الدود تأكل من أجسادهم دون أن يتمكنوا من مقاومتها لأن الجرح غائر وعميق ومعيق لصاحبه عن الحركة أو لأن الفترة التي قضوها ينزفون حالت دون تحملهم لآلام الجراح ومعاناته القاسية.
استبد بي الغضب عند رؤيتي حالة القتلى والجرحى وقررت كقائد للحملة نسف القرية ومنازلها كاملة دون رحمة باستثناء الأطفال والنساء الأبرياء من هذه الجريمة البشعة التي ارتكبت في حق مقاتلينا من الحرس والشهداء وأيدني في ذلك كل القادة الميدانيين، وبدأنا في وضع الألغام في كل بيت في القرية وفجرنا كل المنازل دون استثناء، حتى تصبح هذه القرية مجرد ذكرى وعظة لمن تحدثه نفسه الاعتداء على جندي من جنود الثورة، ومازلت أتذكر كيف كان رد الفعل في نفوس الأطفال والنساء الأبرياء فقد انخرطوا في البكاء لأنهم لم يرتكبوا ذنباً أو يشاركوا في قتل وإصابة جرحانا بجراح بليغة ومنع الماء عنهم والأكل وتضميد الجراح وهو ما يفعله العدو والفارس النبيل بصرف النظر عمن يمثل هؤلاء القتلى والجرحى.
ورغم حزني الشديد على مصير القتلى وحالة الجرحى إلا أنني تمالكت نفسي فأمرت بسرعة إسعاف الجرحى ودفن الموتى في موكب جنائزي مهيب ثم أمرت بالتحرك نحو قرية تنعم الهدف الرئيسي من خطتنا وتركت قرية شوبان نهباً من قبل قواتنا بعد أن أمرت بتخصيص سيارتين لنقل الأطفال والنساء وتسليمهم لشيخ الضبعات الأخ السراجي مع مبلغ من المال للصرف عليهم حتى يأتي أهالي المحل لأخذهم عملاً بالحكمة القائلة: (إن الأطفال والنساء لايجب أن يؤاخذوا بذنب آبائهم).
وهكذا كانت أخلاقنا ومبادؤنا رغم سوء أخلاق العدو وشراسته في معاملة قتلانا وجرحانا، ورغم الألم الشديد الذي كنت أشعر به بعد أن دمعت عيناي من مناظر القتلى والجرحى فإنني أعطيت أمراً لمواصلة الحملة والسير نحو بلوغ تنعم بعد أن تأكد لي أن أهاليها موالون للنظام الجمهوري ومتمسكون بالثورة ومبادئها، فكان لهم الفضل في تهريب العديد ممن وقعوا في كمين أهالي شوبان كما شاركوا في إسعاف الجرحى وتقديم الطعام والشراب الضروريين لاستمرارهم على قيد الحياة .. وكان أول عمل قمنا به هو تقديم الشكر لأهالي تنعم وتكوين سرية من أولادهم للمشاركة معنا في حماية مخازن الذخيرة والتموين العسكري والأسلحة التي كانت معنا، ثم اخترنا موقع القيادة، وهو عبارة عن منزل لأحد أهالي تنعم تنازل لنا عنه طواعية فاستأجرناه ورفضنا هبته لأن الأهالي كانوا قد بلغوا حداً من المتاعب بسبب إصرارهم على موالاة الثورة والنظام الجمهوري، رغم الحصار الشديد الذي ضربه عليهم أصحابهم فأردنا التخفيف عنهم وأشركناهم في الحصول على تموين يومي لكل فرد منهم، وكان عبارة عن أربع كدم وعلبتي تونة لاتسد الرمق، وهو ما كان يحصل عليه كل ضابط وجندي نظامي وحرس وطني ومتطوعون رجال القبائل ومشائخهم.

وظلت المعارك بين رجالنا، من جيش الثورة والقبائل بطريقة الكر والفر.
بعد مضي ستة أشهر وبعد أن بلغ غياب إخواننا من المحافظات الجنوبية والشرقية مدة ستة أشهر عن أهاليهم طلبت الرائد محمد الدقم وقادة سريتي أبين ويافع الناجية من الموت والذين كثر عددهم بعد عودة الجرحى من المستشفيات في صنعاء وإصرارهم على مواصلة القتال وأبلغتهم بأننا سنعطيهم إجازة لزيارة الأهل والأحباب في البلاد على أن يقوموا بتجنيد مجموعة أخرى تصلنا خلال شهر لسد النقص والعجز في قواتنا فاعترضوا في البداية لكنهم ابتهجوا عندما قلت لهم أنها فرصة لزيارة الأهل وتفقد الأسرة، وأمرت بصرف مرتباتهم، وفوجئت برفضهم استلام مرتباتهم ورغبتهم في الاحتفاظ بسلاحهم ومصروف طريق فقط يوصلهم إلى قراهم فأجبت بأننا لا نستطيع أن نعطيكم السلاح لأنه عهدة على قيادة المحور وعند عودتكم سنعيده إليكم مرة أخرى وسأكتب لكم هذا التعهد مني ومن قيادة المحور زملائي ونوقع جميعاً فرفضوا وأصروا على الاحتفاظ بسلاحهم مع الذخيرة بل إنهم طالبوا مضاعفة الذخيرة بدلاً من المرتبات وظللنا نتحاور حتى تطور الحوار إلى شبه نشوب قتال بيننا واتخذ كل منا مترسه وخندقه، فجاء نائبي الملازم علي علاية أحد ضباط الثورة من خلية الأمن ومن طوقني بمعروف لن انساه هو الذي افشى لي بساعة الصفر كلمة السر وطلب مني المشاركة دون أن أكون قد اصبحت عضواً فاعلاً في تنظيم الضباط الأحرار قال لي نائبي: نحن هنا مطوقون بالأعداء من كل جهة ولا يحتمل أي خلاف في صفوفنا إذ سينتهز العدو فرصة خلافاتنا وتقاتلنا ببعضنا فينقلب علينا جميعاً مما يضعف صفوفنا ويحد من وقتنا ويهدر ما نملكه من سلاح وعتاد أعددناه للعدو لضرب بعضنا البعض ونحن صف جمهوري واحد وإخواننا جاءوا للقتال معنا ومعاونتنا والمسألة تحتاج للتعقل وإمعان التفكير وبإمكانك «موجهاً الحديث إلى قائد المحور وابن الرئيس السلال» أن تعود لوالدك وللقيادة في اجتماعك الأسبوعي بهم وتعرض عليهم المشكلة والورطة التي وقعنا فيها وطلب المخرج الذي يجنبنا المصاعب ولايطور القضية مع إخواننا إلى حد الاصطدام .. رأيت أن رأي نائبي صواب وفيه مخرج لنا من محنتنا فعدت لإخواننا قادة وضباط وأفراد سريتي يافع وسألتهم: هل تقبلون رأي المشير السلال القائد الأعلى وتوجيهاته في هذه القضية فأجابوا جميعاً نعم جرى هذا الحديث في أحد أيام الثلاثاء فانتهزت فرصة قرب الاجتماع الأسبوعي الذي يصادف الخميس من كل أسبوع وتحركت إلى صنعاء منتهزاً فرصة يوم الأربعاء لزيارة أسرتي وأولادي ووالدي واطلاعه على الموقف العسكري برمته وطرح موضوع قضية السلاح العهدة على المحور والذي يريد إخواننا من أبناء المحافظات الجنوبية الاحتفاظ به على الاجتماع الأسبوعي يوم الخميس وبعد أن وصلت إلى العاصمة صنعاء أعدت التفكير في هذا الموضوع وخطرت لي فكرة طرحه على والدي عند زيارتي له.
لم اطرحه بعد ذلك في اجتماع القيادة الأسبوعي وماكدت أذهب باكراً من يوم الأربعاء حيث وجدته مرهقاً ومجهداً ومهموماً فحدثت نفسي بالعدول عن طرح الموضوع عليه، لكن بعد أن استقبلني بابتسامة عريضة محيياً موقف القوات التي أصبحت مسيطرة على قيادة المحور وطالباً نقل تحياته وتهانيه لكل فرد وضابط ومقاتل.. وعندما أحس بأنني مهموم ولا يبدو علي الفرح بتشجيعه لي ولزملائي ضباط وصف ضباط وجنود المحور سألني: ما تفعل بالله من هموم فلدي منها ما يكفي؟!
فأنا أواجه مشاكل وقضايا ومعوقات في عشرين جبهة موزعة في كل أنحاء الجزء الشمالي من الوطن (هذا كان في بداية الثورة) فأجبته: بس هذا الهم الذي سأنقله له ربما يكون أكثر الهموم وأشدها تعقيداً وحكيت له قصة إصرار إخواننا المقاتلين من أبناء المحافظات الجنوبية على احتفاظهم بالسلاح والعودة به إلى الجزء الغالي المحتل من الجنوب ورفضهم لمرتباتهم وإنما يريدون مجرد مصروف يعيدهم إلى قراهم، فضحك ضحكة عالية كما هي عادته وخشيت أن يحول الموضوع إلى نكتة، كما كان يواجه كل المشاكل لكنه أجابني: «يامغفل احمد الله أنهم سيأخذون السلاح معهم لأنهم سيذهبون به ليحاربوا الانجليز وأنا أتمنى إدخال أسلحة لبقية إخوانهم حتى يتمكنوا من تفجير ثورة ثانية ضد المستعمر، كما فعلنا في شمال الوطن، دعهم يأخذوا الأسلحة واصرف لهم مرتباتهم كاملة وإياك أن تتعذر بالعهدة فأنا مستعد لإخلاء عهدتك بأمر إلى قصر السلاح وأكلفهم أن يصرفوا لك الكمية التي نقصت من عهدتك حتى تسلح بها القادمين اليك من ردفان وحالمين والضالع فقد وجهت إلى العمليات بأن يرسلوهم إليك بعد أن حقق الأولون انتصارات كبيرة وخاضوا معارك باسلة وملاحم بطولية كما تحكي بذلك تقاريرك إلي وإلى القيادة، وسوف أذكرك قريباً جداً أن أولئك الأبطال وغيرهم من إخوانهم الذين سيلحقون بهم سوف يفجرون الثورة بالسلاح الذي أصروا على الاحتفاظ به، فقدم لهم الشكر نيابة عني وأعطهم «فكوكاً» «تصاريح» بالعودة بسلاحهم واصرف لهم المرتبات ولا حاجة لعرض هذا الموضوع على الاجتماع الأسبوعي. فاعتبر هذا أمراً من القائد الأعلى وما عليك إلا تنفيذه وأشكر لي نائبك الملازم الثائر علي علاية فلولا رجاحة عقله لحدث ما لا يحمد عقباه.
ويكمل العميد السلال :
انزاح من صدري هم أثقله طوال أسبوع وما كاد الاجتماع ينتهي حتى عدت إلى محور خولان يوم الجمعة لأبشر الإخوة والزملاء بهذا الحل فاستبشروا وصاحوا بصوت واحد يحيا السلال يحيا الزعيم يحيا القائد وأمرت بصرف مرتباتهم، لكنهم كانوا فوق كرم السلال وسماحته وأخلاقه الوطنية مما جعلني أندم على أنني اختلفت معهم لأنهم رفضوا جميعاً استلام المرتبات وطلبوا من عشرة ريالات مصاريف عودة ووعدوا بالعودة بعد عدة أشهر وأصروا على الاحتفاظ بسلاح القتلى والشهداء ليسلموها إلى زوجاتهم وأبنائهم فوافقت وأعدت عليهم عرض تسليم المرتبات فرفضوا قائلين: إننا جئنا هنا لنؤدي واجب الدفاع عن الثورة الأم التي ستشعل ثورتنا ضد الاستعمار قريباً بإذن الله.. ووسط دموع الألم على فراقهم والفرحة بعودتهم سالمين ودعناهم وحملناهم على السيارات حتى صنعاء ليدبروا أمورهم أو تدبر القيادة نقلهم إلى أي مكان يستطيعون التسلل منه إلى قراهم.
كان هذا النموذج من الأبطال من أبناء المحافظات الجنوبية وإنكارهم لذواتهم هو النموذج السائد في كل الجبهات، حتى أولئك الأبطال الذين قدموا إلينا من حالمين وردفان والضالع والحواشب والعوادل بملابسهم الجميلة كانوا في نفس المستوى من البطولة والشجاعة وإنكار الذات، حتى القائد الكبير والزعيم القبلي الشريف الذي شارك معي ومع الشهيد البطل محمد الرعيني قائد الحملة الشيخ راجح لبوزة في فك حصار حجة وفي محور الطور المطيان الأمان وأصحابه كانوا في نفس المستوى من الشجاعة والبطولة وإنكار الذات وعدم الرغبة في طلب المال أو امتلاكه، وكل ما امتلكوه هو السلاح الشخصي الذي وجهوه إلى صدور الجيش البريطاني في الرابع عشر من أكتوبر ١٩٦٣م وأشعلوا الثورة المسلحة من جبال ردفان الأبية بقيادة القائد العسكري والقبلي الشجاع الشيخ راجح لبوزة بعد عودتهم من أداء واجب الدفاع عن الثورة الأم في شمال الوطن.
وما زلت أتذكر، حين عدت إلى صنعاء لأقدم تقريراً حول فك الحصار عن مدينة حجة أن والدي المشير – رحمه الله – أمر زوجتي أن تنبهني من نومي بعد رحلة طويلة ومهمة شاقة وإرهاق وتعب، وعندما أمسكت سماعة التلفون قال لي مرحباً مسروراً كعادته، سمعت أخبار الجنوب؟ فأجبته بأنني لم أسمع شيئاً فأجابني السلاح حقك وحق المحاور العسكرية الأخرى الذي خرج به المقاتلون الأبطال من أبنائنا في الجنوب قطع ونفع فقد فجروا به الثورة مساء أمس الرابع عشر من أكتوبر بقيادة البطل لبوزة هل صدقتني؟ فأجبت فرحاً: نعم فلسنا في كياستك وحكمتك وبعد نظرك وامتداده إلى بعيد فمازلنا شباناً في مقتبل العمر تنقصنا التجارب ولا تنقصنا الشجاعة والإقدام. فرد مقاطعاً حديثي: لولا شجاعتكم وإقدامكم ليلة الثورة وفدائيتكم المتناهية لما كتب لثورة سبتمبر الخالدة البقاء ولما تفجرت ثورة الرابع عشر من أكتوبر المجيدة.